ثلاث روايات عن أصل عيد الحب

شعور «فالنتاين» بالحب هو الذي جعله قادراً على أن يصبح رمزاً

وائل العدس

لم يكن يخطر ببال بابا روما، جيلاسيوس، عندما أضاف يوم ١٤ شباط إلى سجل أعياد القديسين المعترف بهم رسمياً عام ٤٩٦، أن هذا اليوم سيصبح يوماً مكرساً للعشاق في مختلف أنحاء العالم.

فاليوم المختار للتعبير عن عيد الحب كان مخصصاً للاحتفاء بشهيد مسيحي في روما خلال القرن الثالث الميلادي.

وقد تعددت الروايات حول أصل عيد الحب، وتاريخه، والأسباب التي أدت إلى نشأته، ومن خلال السطور التالية نورد أهم ما ذكر عن الموضوع:

عيد الخصوبة

تُعد هذه الرواية من أقدم الروايات التي ترد في أصل عيد الحب، حيث حدثت في العهد الروماني، حينما كان الرومان يحتفلون بعيد يسمى «عيد الخصوبة» في ١٤ من شهر شباط من كل سنة، حيث يمارسون فيه بعض الطقوس الغريبة التي كانت تزيد الخصوبة باعتقادهم وهو ما عده بعض المؤرخين أصل عيد الحب.

الراهب وابنة السجان

تعود قصة عيد الحب إلى القرن الثالث الميلادي، وهي مرتبطة بإمبراطور روماني اسمه كلوديوس الثاني، وبراهب اسمه فالنتينوس حيث كان الأول قد أمر الرومانيين بأن يعبدوا اثني عشر إلهاً، كما حرّم التعامل مع الأشخاص الذين يدينون بالمسيحية، وعدّها جريمة يعاقب عليها، إلا أن الثاني وهب حياته للمسيحية وللعيش في كنف معتقداتها؛ فكان يمارس كل عباداته وما يؤمن به، ولم يكن يهاب أحداً في ذلك، ولذلك قبض عليه ووضع في السجن.

وفي حياته الأخيرة في السجن، طلب السجّان من فالنتينوس أن يعلم ابنته بعض العلوم، بعد أن عرف بمقدار علمه، فوافق على ذلك.

كانت الفتاة تدعى «جوليا» وهي فاقدة للبصر منذ ولادتها، إلا أن ذلك لم يمنع فالنتينوس من تعليمها؛ لكونها تتصف بسرعة البديهة، فشرح لها العالم، وروى لها تاريخ روما وقصصها، وعلّمها الحساب، وأسرّ لها عن وجود الله، فوثقت به وتأثرت بما علّمها؛ فقد كان عينها التي ترى بها العالم من حولها، وقد سألته ذات يوم عن حقيقة سماع الإله لصلواتها وهي تصلي، إذ كانت تصلي وتدعو أن تستعيد بصرها لترى ما تعلمته بعينيها، فأجابها بأنها إن آمنت بالإله فإن الإله سيفعل الأفضل لها، حينها قالت إنها تؤمن به، فقام معها بعد ذلك وصلى، وأثناء الصلاة عاد البصر لها.

في آخر ليلة قبل وفاته، كتب ملاحظة لجوليا حنّا فيها على أن تبقى قريبة من الله، ووقع في نهاية الرسالة: «من فالنتاين.. الحب الخاص بك»، ثم نُفذ به حكم الإعدام في يوم الرابع عشر من شهر شباط من عام ٢٧٠، جانب بوابة سميت فيما بعد باسم «بورتا فالنتيني» تخليداً لقصته، وبعد أن دفن في كنيسة مشهورة في روما عُرفت آنذاك باسم «براكسيديس»، زرعت جوليا شجرة لوز جانب قبره، كانت تتفتح بزهر وردي اللون، حيث ترمز هذه الشجرة للحب والإخلاص والصداقة الدائمة.

> طقوس غريبة يمارسونها ويعتقدون أنها تزيد من الخصوبة والحب

قرار منع الزواج

عاش كاهن اسمه «فالنتين» في فترة حكم الإمبراطور كلوديوس للإمبراطورية الرومانية، حيثُ اضطهد الكنيسة وأصدر قراراً يقضي بمنع زواج الشباب؛ وكان يبرر ذلك بأن الجنود غير المتزوجين أفضل وأكثر كفاءة في أداء عملهم من الجنود المتزوجين؛ لأن المخاوف تسيطر على أذهان الجنود المتزوجين حول ما قد يحدث لهم ولعائلاتهم إن ماتوا في الحرب.

إلا أن الكاهنَ «فالنتين» وقف ضد هذا القرار، فزوج بعض الجنود بالخفية، ولسوء الحظ علم الإمبراطور بذلك، فَألقي القبض عليه ووضع في السجن وعُذِب، وقد حُكم عليه فيما بعد في عام ٢٦٩ بالإعدام بسبب وقوفه ضد قرار الإمبراطور.

وقد كانَ معه في السجن رجل يدعى «أستريوس»، وكان له ابنة مصابة بالعمى، كانت تأتي إليه ليصلي «فالنتاين» لأجلها، فشفيت من تأثيره المدهش، هذا التأثير هو الذي جعل والدها مسيحياً حينما رأى أثره في شفاء ابنته، وحينما حان موعد إعدام «فالنتاين» كتبَ لابنة «أستريوس» في مذكرته: «من فالنتين الخاص بك»، فكانت بذلك كلماتٍ تعد اليوم مصدر إلهام لكثير من العشاق.

اللون الأحمر

يعتبر اللون الأحمر من الألوان الجاذبة للانتباه، كذلك فهو لون يعبّر عن المشاعر العاطفية العميقة.

من ناحية أخرى، يعزز الأحمر التفاعلات الفيزيائية، لذلك يستخدمه التجار لتحفيز الناس على اتخاذ قرارات الشراء السريعة.

كما تعبر الورود الحمراء عن العاطفة والحب العميق، وهي محجوزة دوماً للعلاقات الرومانسية، أو العلاقات التي تأمل تحوّلها إلى الرومانسية.

فالأحمر يرتبط باستثارة مشاعر الحب والرغبات العاطفية، لذلك ارتبط بيوم عيد الحب.

في عيد الحب لهذا العام... من المستحق؟

الوحدة تجتاح القلوب وما من مكان للبسمة والحب يجب أن يكون للجميع

سوسن صيداوي

في عيد الحب نكتب عن هذه المناسبة، التي أصبحت اليوم من بين مناسبات السوريين التي لا يجوز التغاضي عنها، مثلها مثل الأعياد الدينية وعيد الأم والمعلم... إلخ. ولكن لهذا العيد نكهة مختلفة، فاللون الأحمر ينتشر في المحال التجارية- لكونه اللون الأصدق في التعبير عن دفق العاطفة- إضافة إلى تنوع الهدايا التي يتنافس أصحاب المحال بعرضها بطريقة جدّ جاذبة، فما بين الشوكولا والورود الحمراء، للعطور والثياب وأجهزة الموبايلات والساعات... إلخ من الهدايا اللائقة، تبدأ المفاضلة. ولكن في آخر فترة يعيشها السوريون، هل لهذا العيد الكماليّ والترفيهيّ مكان؟ بمعنى هل للسوريين الجَلد والطاقة للاحتفال به؟ وإن تمكنوا من توفير الضروريات كيف سينظرون للكماليات في الـ١٤ من شباط عيد الحب؟

أسئلة كثيرة تُطرح بقوة في هذه الفترة العصيبة على السوريين، وخصوصاً إن كان للحب مكان في قلوبهم النابضة.

الحب للعشاق

هل حقاً الحب مقتصر على العشاق والأحباب، هل العواطف والمشاعر لازمة فقط لعلاقات بين الرجال والنساء؟ صحيح أن هذا الحب ابتدع لتقديس العاطفة بين أهل الهوى، ولكن عند النظر للمجتمعات وخصوصاً مجتمعنا السوري، لمست في العديد من أطيافه أشخاصاً يحتفلون بهذه المناسبة، وهم في طبيعة علاقتهم ليسوا بعشاق. الأمر غريب!! أنا لم أجده غريباً أبداً ومن التقيتهم كذلك.

ففي المول التجاري أخبرتني الشابة صفاء (م) بأنها لا تشارك رجلاً أي عاطفة في الوقت الحالي، بمعنى أنها لا تعيش قصة حب، ولكن هذا الأمر لا يحبطها على الإطلاق لكون طبيعة العلاقة بين الرجال والنساء في مجتمعنا تغيرت، ولم يعد طموحها الارتباط والاستقرار، لهذا هي تتجول بين محلات المول التجاري لتشتري لنفسها الهدايا كي تعزز من حبها لنفسها أولاً « يجب أن نحب ذاتنا أولاً، ونقدرها ثانياً، أنا لا أنتظر حباً من أحد».

في جانب آخر وأمام محل لبيع الهدايا، وقفت وتأملت حركة الزوار للمحل، كانت ضئيلة وإن اشتدت اقتصرت على الفرجة فقط، فمن سيشتري دباً بنصف مليون ليرة؟ بهذا السؤال بدأت هبة طويل حديثها معنا، «عيد الحب في هذه الفترة شكلي جداً، وأنا أرى بأنه من السخرية أن نحتفل به. يجب أن نحب بعضنا حقاً ونتكاتف، وللأسف المعادلة تغيرت نحو الأسوأ، وكلامي هذا لا يعني بأنني لم أحب، أنا أحببت وتزوجت وأنجبت، عماد ولونا وأصبحا شابين، ومن نظرتي إلى العلاقات الدارجة اليوم بين الشباب أصبحت أستخف بعيد الحب، نعم الحب تغير عن أيامنا للشكل السيء، ولابد أن العصرنة هي السبب».

بينما يقول جبران وهو شاب بعمر الثلاثين إن الحب للجميع وليس فقط للعشاق «أنا لست مع حصر الحب بيوم عيد، وأتمنى أن أتلقى شابة تفكر مثلي، ويجمعنا الحب حقاً، فالزيف والكذب شوّها العلاقات العاطفية، والسعي للظهور والعيش وفق المظاهر البالية أصبحا الهاجس والضرورة اللازمة لقبول الشخص أو رفضه في العلاقة العاطفية، وكيف لي أن أحب فتاة ترغب بي لأن عملي جيد ويمكنني أن أؤمن لها عيشاً رغيداً، بعيداً عن طباعي وطريقة تفكيري، لهذا يجب أن نعمم الحب ونشاركه حقا بين الجميع، لنتعلم أسلوبه وفضائله بين الأهل والعائلات، لننطلق نحو (الكوبلات) الشباب والشابات».

> تشتري الزهور الحمراء كل يوم وليس في عيد الحب لتقدمها لزوجها الشهيد

عيد الحب لأهل التضحيات

الوحدة تجتاح قلوباً فارقها ساكنوها، فلم يبق في المحيط من يرسم بسمة، أو يمسح دمعة، ومن بعد ما اتفقنا بأن يكون عيد الحب للجميع وليس فقط لرجل وامرأة، قررنا أن نهدي الحب لأهل التضحيات، فهم أجدر بأن يشعروا بالحب في هذا اليوم، وهذا ما قاله سمير (ع) في جولته ضمن المول مع رفيقته الوحيدة في هذا العالم (والدته) ليقول: «ليس لأمي سند سواي، نعم هناك عيد للأم ولكن لأجلها يجب أن يكون كل يوم عيداً. توفي أبي وهي شابة ورفضت الارتباط واكتفت بتربيتي ولم تتخل عني، وكبّرتني ودرّستني وحرمت نفسها الحب مع شريك لها كُرمى عيني، واليوم لما اشتد عودي سأتركها!! كي أتزوج وأنجب طفلاً، حاولت التعرف إلى فتيات لأجل ذلك ولكنني لم أجد واحدة تقدر ما تعنيه أمي لي، ففي عيد الحب أمي هي كل الحب».

بينما في الزاوية المخصصة لبيع الزهور، حدثنا زيد بأن الحركة لشراء الزهور جداً محدودة لارتفاع سعرها، لهذا الكمية المتوافرة عنده محدودة، حتى لا تذبل ويرميها، وقرر في عيد الحب لهذا العام أن يلبي الطلبات التي تمت توصيته عليها سابقاً. ولكن لم يستوقفني زيد بائع الزهور، بل القصة التي حدثني عنها، فهناك فتاة تأتي إليه كل أسبوع لتشتري خمس وردات حمراء، ولا تزال على عادتها هذه منذ ست سنوات، وبحكم العادة لشراء الزهور منه، علم مرة بأن هذه الصبية تشتري الزهور لعريسها الذي استشهد، فكل أسبوع تذهب لزيارته وتحدثه عن أحوالها، بعد أن استشهد وهي لم تمض معه إلا شهرين، وفارقها وهما بعمر ثلاثة وعشرين عاما، وتقول الصبية _ بحسب زيد_ إن ما تعيشه اليوم من استقرار وأمان هو بفضل زوجها الشهيد، فلقد أتمت دراستها الجامعية وعملها جيد، وأخيراً هي رافضة لأي ارتباط، والحب بالنسبة لها هو مع شريكها الذي في السماء.